

لن ننسى وإن سامحنا

الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

مع حلول ذكرى ميلاد المخلص نتضرع للخالق جل جلاله، ومعنا كل المؤمنين بحتمية انتصار الحق على الباطل، طالبين لشعبنا الصامد نِعَمَ الإيمان والصبر ليصد التجارب التي يتعرض لها من قبل المحتل وإفرازاته، على رجاء قيامة الوطن وتحرره من الشر والأشرار. نؤكد إن القهر والظلم والتكيل يقوون عزيمة وإيمان اللبناني والنصر بإذن الله لن يكون في النهاية إلا لحاملي مشعل الحريات المؤتمنين على ال ٧٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة وعطاء.

لقد مرت الذكرى ال ٥٤ لإعلان شرعة حقوق الإنسان التي كان لابن لبنان البار الدكتور شارل مالك شرف المشاركة الفاعلة في صياغة بنودها، مرت ولبنان يزرع تحت نير الاستعباد فيما بعض من هم "منا وبيننا" يتعاملون عن واقع الاحتلال البغيض ويتصرفون وكأن الاستقلال غير مُعتَصَب، والسيادة غير مفقودة، والحدود غير مشرعة، والكرامة غير مُداسة، "والفقر والتعثير مش ضاربين طنابن". وها هي ذكرى ولادة المخلص تطل علينا مجدداً ولبنان السيادة متروك لقدره الظالم يعاني من كوارث الاحتلال "الأخوي" الرابض على صدورنا، والخانق لأنفاسنا، وهو يتصرف بمصيرنا، يغتصب حقوقنا، يضرب مصالحنا ويرهن مستقبل أجيالنا بديون طائلة لا قدرة على إيفائها لا اليوم ولا في المستقبل المنظور. إلا إنه ورغم هذه المأساة المستمرة فصولاً منذ سنة ١٩٧٥ ما زلنا وللأسف الشديد نجدُ بيننا من يُعفر الجباه على أعتاب عنجر وقصر المهاجرين وكأن كل شيء على ما يرام.

ما يجهله تلامذة لوسيفورس أن اللبناني يزداد تعلقاً بواجب استعادة لبنانه السيد الحر المستقل ويستبسل أكثر، كلما ازداد قهره واضطهاده. إنه ورغم كل الجحود ووجود فرّيسيين بيننا متخفين بملابس الحملان، يدوسون كل المقدسات والثوابت والقيم الأخلاقية، فإننا سنمسك عن الكفر ونتشبث أكثر بمقاومتنا الغاندية. وللحقيقة نقول أن نفوسنا "تلعي"، لكننا سنمسك عن التقيؤ لأن بيننا من يحلم، ويخطط، ويناور حتى يكون له "شرف" التتكرّر للبنان، ومحرماته، قبل صياح الديك كل صباح، ولأن بيننا من يُبصق في وجهه، فيطأطئ الرأس، ويتلظى من الشتاء. ولأن بيننا من يعرف، ولا يريد أن يعرف، أن الكيان اللبناني يتعرض لأخطر مؤامرة وخيرة شبابه تُهجر ليحل مكانها شذاذ الآفاق من دول الجوار الحاقدة.

تمر ذكرى الميلاد مجدداً وثروات لبنان تُبْعَزَق، وتُسْرَق، وتُرْتَهَن، لكي ينعم بها الأشقاء الغاصبين، وخدامهم الواجهات من السياسيين وحيثان المال والمافياويين، وأصحاب القلانيس والعمائم الذين أعمى قلوبهم الطمع، فأدمنوا التبعية والركوع وأدام جوعهم الجشع.

تمر ذكرى الميلاد ونحن متعلقون أكثر بإيماننا وممسكون عن الكفر، علماً أن للصبر، وضبط الذات، والقدرة على التحمل حدوداً. أما رموز حُكم الواجهات الذين احتقلوا عبر اللجنة البرلمانية لحقوق الإنسان بالذكرى الـ ٥٤ لولادة شرعة حقوق الإنسان كما يحتفل الجزار بنحر خرافه، كان الأحرى بهم لو اتخذوا العبرة من نهاية الاسخريوطي متديلاً من على جنوع شجرة نموذجاً يقتدون به، لكانوا "ارتاحوا وريحوا".

تمر ذكرى الميلاد ونحن نرى حكامنا يُمعنون في قهر الشعب وإذلاله وتزوير إرادته وتجويعه بفرض الضرائب تلو الضرائب، وقمع حرّيته بإسم الديمقراطية والمصلحة العليا للدولة. تمر الذكرى ونحن نرى ونلمس أن حكامنا الذين راهن البعض متوهماً على شفافتهم ونزاهتهم وإخلاصهم، ممعنون في هدم دعائم الوطن وفي هدم مؤسساته وقضائه والعدالة فيه ورهنه وسرقته. تمر الذكرى على وطن الأرز فيما الممسكون بمقدرات السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فيه، هم بالواقع مولودون من الرحم السوري وليس من الخيارات الديموقراطية اللبنانية.

نفوسنا "تلعي" ونمسك عن التقيوء ونحن نرى حكومة الحريري المسيرة بالريموت كونترول "العنجري، الصببانية العقل والغير قادرة على مواكبة احتياجات الناس تُغرق البلد في أتون الضياع، متخفية وراء طروحات ترقيعية مسمومة لإصلاح الاقتصاد المنهار بمعزل عن مفاعيل الاحتلال، فيما المنطق يقول أنه إن لم يتم التوافق على ضرورة خروج الجيش السوري وإفرازاته وتنفيذ القرار الدولي ٥٢٠ لا يمكن أن يحصل الوفاق اللبناني الداخلي المفترض أن يشارك فيه جميع اللبنانيين دون قيود أو ضغوط. إنه وفي غياب الرؤية الشمولية للمشكلة التي من أهم أسبابها الاحتلال تبقى الإصلاحات الإدارية المحكي عنها والاستدانة من الخارج دون جدوى ولن تؤدي إلى أي انفراج معيشي أمّني أو اقتصادي، كما أنها لن تقود بأي شكل من الأشكال لإطلاق عجلة الحياة الطبيعية وإيقاف نزف الهجرة وتحسين فرص العمل.

في ذكرى ميلاد المخلص نصلي من أجل شهدائنا الأحياء - الأموات المحتجزين اعتباراً ومنذ سنوات عديدة في غياهب المعتقلات السورية دون محاكمات أو حتى معرفة ما إذا كانوا أحياء أم أموات، كما نصلي من أجل عودة المبعدين ظلماً وعدواناً إلى الأراضي المقدسة، ومن أجل المشردين في أصقاع الدنيا الأربع بسبب إيمانهم بلبنان، وأيضاً من أجل إطلاق سراح المعتقلين وعودة المبعدين من مواطنينا الأبرار وقادتنا السيادةيين. يبقى أن الشعب لن ينسى عار الذين يتاجرون بدمه، بكرامته، بلقمة عيشه، بتاريخه وهويته، لن ينسى وإن سامح، لن ينسى أن العقاب واجبٌ وحقٌ له ولأجياله المقبلة.